

## 240648 - قوله تعالى : ( لَكَنِ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ) هل معناه ينسى ويذهب من عقله كل شيء ؟

### السؤال

سؤال متعلق بالآيتين الكريمتين: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّ أَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكَنِ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) ، قوله تعالى: (إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكَنِ لَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) هل المقصود بعدم العلم هنا أنَّ الإنسان ينسى كل العلم الذي لديه ؟ أم أنه ينسى بعض العلم الذي لديه ؟ فأنما اعتقد أنَّ الإنسان لا ينسى كل شيء ، وهل الآيتين تشيران إلى نفس المعنى ؟ وما هي أقوال أهل العلم في تفسير هذه الآيات ؟ وهل كلمة "شيئاً" في الآية تشير إلى الجزء أم إلى الكل ؟

### ملخص الإجابة

والحاصل :

أن الآيتين ليس فيها أن كل من كبرت سنه ، كان بهذه الحالة من "أرذل العمر"؛ بل فيهم أن طائفة ممن يُعمر ، هي التي ترد إلى أرذل العمر ، ويكون بهذه الحالة من نسيان ما كان يعلمه من قبل .

ثم إن هذا النسيان ، وهذا الرد إلى أرذل العمر : درجات ، يتفاوت أهله فيه ؛ فمنهم من ينسى ما كان يعلمه بالكلية ، ومنهم هو دون ذلك ، وهذا أمر معروف ومشهور.

والله تعالى أعلم .

### الإجابة المفصلة

قال الله عز وجل : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّ أَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكَنِ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) النحل / 70 .  
وقال تعالى : (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكَنِ لَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) الحج / 5 .  
قال الطبرى رحمه الله :

"يقول تعالى ذكره : والله خلقكم أيها الناس ، وأوجدمكم ، ولم تكونوا شيئاً ، لا الآلهة التي تعبدون من دونه ، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره ، ثم يقبضكم ."

ومنكم من يهرم ، فيصير إلى أرذل العمر ، وهو أرده ، وإنما نرده إلى أرذل العمر ليعود جاهلاً ، كما كان في حال طفولته وصباه ، يقول : ثلاثة يعلم شيئاً بعد علم كان يعلمه في شبابه ، فذهب ذلك بالكبار ، وئسي ، فلا يعلم منه شيئاً ، وانسلخ من عقله ، فصار من بعد عقل كان له ، لا يعقل شيئاً "انتهى مختبراً ."

وقال السعدي رحمه الله :

"يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادَ وَنَقَلَهُمْ فِي الْخِلَقَةِ، طَوْرَا بَعْدَ طَوْرٍ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ يَسْتَكْمِلُوا آجَالَهُمْ يَتَوَفَّاهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَمِّرُهُ حَتَّى يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، أَيْ: أَخْسَهُ، الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ الْإِنْسَانُ إِلَى ضَعْفِ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، حَتَّى الْعُقْلُ الَّذِي هُوَ جُوْهَرُ الْإِنْسَانِ، يَزِيدُ ضَعْفَهُ، حَتَّى إِنَّهُ يَنْسَى مَا كَانَ يَعْلَمُ، وَيَصِيرُ عَقْلَهُ كَعْقُلَ الْطَّفَلِ" انتهى من "تفسير السعدي" (ص 444).

وقال الزجاج رحمه الله :

"الْمَعْنَى: أَنَّ مَنْكُمْ مَنْ يَكْبُرُ، حَتَّى يَذْهَبَ عَقْلُهُ حَرَفًا، فَيَصِيرُ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَالَمًا جَاهِلًا، لِيَرِيَكُمْ مِنْ قَدْرِهِ، كَمَا قَيْرَ عَلَى إِمَاتِهِ وَإِحْيائِهِ، أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى نَقْلِهِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْجَهَلِ". انتهى من "زاد المسير" (2/571).

فالمقصود : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْقُلُ الْعِبَادَ مِنْ جَهَلٍ إِلَى عِلْمٍ، ثُمَّ مِنْ عِلْمٍ إِلَى جَهَلٍ، وَمِنْ ضَعْفٍ إِلَى قُوَّةٍ، ثُمَّ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى ضَعْفٍ .

وَالنَّاسُ يَتَفَاوتُونَ فِي مَقْدَارِ ذَلِكِ الْجَهَلِ الَّذِي يَنْقُلُونَ إِلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُطِيقُ عَلَيْهِ الْخُرْفَ، فَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا، مَطْلَقًا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَكَادُ يَعْلَمُ شَيْئًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ، إِلَّا أَنَّ الْجَهَلَ وَعَدَمَ الْعِلْمِ هُوَ الْفَالِبُ عَلَيْهِ.

وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (لَكِنَّ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا): بِبَيَانِ غَلْبَةِ الْجَهَلِ مِنْ بَعْدِ الْعِلْمِ، لَا اِنْتِفَاءِ الْعِلْمِ بِالْكُلِّيَّةِ بِالنَّسْبَةِ لِكُلِّ مَنْ أَدْرَكَ هَذِهِ الْمَرْجَلَةَ، فَنَفَى الْعِلْمَ لِلْمُبَالَغَةِ .

وَلَذِكَ قَالَ : (وَمِنْكُمْ) إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ كَبَرَ وَشَاخَ، يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، بَلْ مَنْ هُؤْلَاءَ مِنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكِي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْبُرُ فِي حِفْظِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَقْلَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ .

قال ابن جزي رحمه الله :

"وَلَيْسَ الْمَرَادُ نَفِي الْعِلْمِ بِالْكُلِّيَّةِ، بَلْ ذَلِكَ عَبَارَةٌ عَنْ قَلَةِ الْعِلْمِ، لِغَلْبَةِ النَّسِيَانِ". انتهى من "تفسير ابن جزي" (1/431).

وقال الرازبي رحمه الله :

"فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ قَالَ: لِكَيْلَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا، مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ كَالْطَّفْلِ؟

قُلْنَا: الْمَرَادُ أَنَّهُ يَرْزُولُ عَقْلَهُ، فَيَصِيرُ كَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، لِأَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ قَدْ يُذَكَّرُ فِي الثَّقَيِّ لِأَجْلِ الْمُبَالَغَةِ" انتهى من "تفسير الرازبي" (23/205).

وقال ابن عاشور رحمه الله :

"وَلِذِكَرِ مَرَاتِبِ فِي ضَعْفِ الْعُقْلِ، بِحَسْبِ تَوْغِيلِهِ فِي أَرْذَلِ الْعُمُرِ، تَبْلُغُ إِلَى مَرْتَبَةِ اِنْعِدَامِ قَبْوِلَةِ لِعِلْمٍ جَدِيدٍ، وَقَبْلَهَا مَرَاتِبٌ مِنَ الضَّعْفِ مُتَقَاعِدَةً، كَمَرْتَبَةِ نَسِيَانِ الْأَشْيَاءِ، وَمَرْتَبَةِ الْإِخْتِلَاطِ بَيْنَ الْمَغْلُومَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ" انتهى من "التحرير والتنوير" (17/202).